

جنود الملكة في أرض العراق والشر اللامبالي

روايات إنكليزية عن جسيم الحرب في المشرق العربي

الحرب أمر طبيعي. لذا فهي وظيفة ذات أجر. لا تسأل، لم تكن في الخليج، لم تكن في أيرلندا؟ لم تكن في جزيرة جنوبي الأطلنطي مغلّاة بخزء الخرفان لم يسمع عنها أحد قطاً ممنوع أن تتبادل الملكة. أنتظم في التشكيلات، أخرج ليدء المناورات. تقدّم بإصراراً، من قصة جندي عادي من جنود الملكة للروائي البريطاني جراهام جوي.

هالة صلاح الدين



ومعلما لم يُنتج الكتاب حتى الآن إنتاجاً يليق بالحرب الكورية - عدا ربما رواية المرشح المنشوريّ للاميريكي ريتشارد كوندون ومسلسل ماش التليفزيوني - يسير الإبداع على الخطى نفسها عند اقترابهم من عاصفة الصحراء وحرب العراق.

المحارب يسرد

يعود هذا التأخر على الأرجح إلى تغييرات بنيوية حلت بهيكل النشر ذاته المعنى في أغلب الأحيان بالسير الذاتية والبيانات، كما أن تشبّع الجمهور بالتغطية الإلكترونية للحربين وجعلهما فوريين للمتلقيين - حيث الكل منتهيا ولا أحد منته - أسهم أيضاً في عزوف الأدياء عن طريقها. خاض كذلك معظم كتاب الحربين العالميتين القتال بانسهم إبان كان التجنيد إلزامياً. أما وقد باتت الجيوش الغربية تنكث الآن على المحترفين، لم تعد تجذب بأي شكل من الأشكال نموذج الأديب أو الشاعر. ثمة إذن وعي قائم من جانب المبدع بانتقاء تجارب أخيرها بالفعل، وفي حالة حرب العراق لا يستدعي الذخر روائياً واحداً انهمك في عمارها بشكل مباشر.

مع ذلك لم تفكر الساحة الأدبية تمام الانفتاح إلى نظرات مقتضية إلى عاصفة الصحراء وحرب العراق. وما تجاهله فن الرواية ألفي متسعاً في صورة قصص منفردة تسعى للقبض على النزاع في هذه البقعة من العالم، بعضها مُقَرط في واقعيته قصة الأميركي بينجمن بيرسي (1979) 'تحديث'. الثانية بجائزة بوليتسر عام 1945 مدم أربع سنوات ليس إلا من دخول أميركا الحرب، ويملأ 11 سبتمبر 2006 كانت الروايات التي تتناول الهجوم تشكّل نوعاً أدبيا يسع مجلدات.

ولا بد أن جائزة اسرع رواية عن الحرب سوف تذهب إلى رواية جراهام جرين 'الأميريكي الهادي' (1995) المناهضة لحرب فيتنام، إذ خطها قبل سنوات من إدراك أغلب الأعمال لم تغط في أغلبها إلا حدثاً واحداً، أو فئات متتالية من حرب قائمة: بيرل هاربور مثلاً بدلاً من الحرب برمتها.

ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى أن غيرهم من الكتاب تسهلوا سنوات قبل أن تجرؤ أقلامهم على تدوير الحرب. كتب الروائي البريطاني أوليس هاكسلي بوما، لكي ينجي، لا تحقّق إليه، وبغلي، لا تسلط

عينك فوقه وتحتة، وحوله. ربما استمع عدد من الروائيين إلى النصيحة نفسها فاصبر الأميركي ستيفن كرين رواية 'شارة الشجاعة الحمراء' بعد عقود من انتهاء الحرب الأهلية ونشر الأميركي دينيس جونسون رواية 'شجرة من الدخان' عن كارثة فيتنام عام 2007.

وتعلما لم يُنتج الكتاب حتى الآن إنتاجاً يليق بالحرب الكورية - عدا ربما رواية المرشح المنشوريّ للاميريكي ريتشارد كوندون ومسلسل ماش التليفزيوني - يسير الإبداع على الخطى نفسها عند اقترابهم من عاصفة الصحراء وحرب العراق.

المحارب يسرد

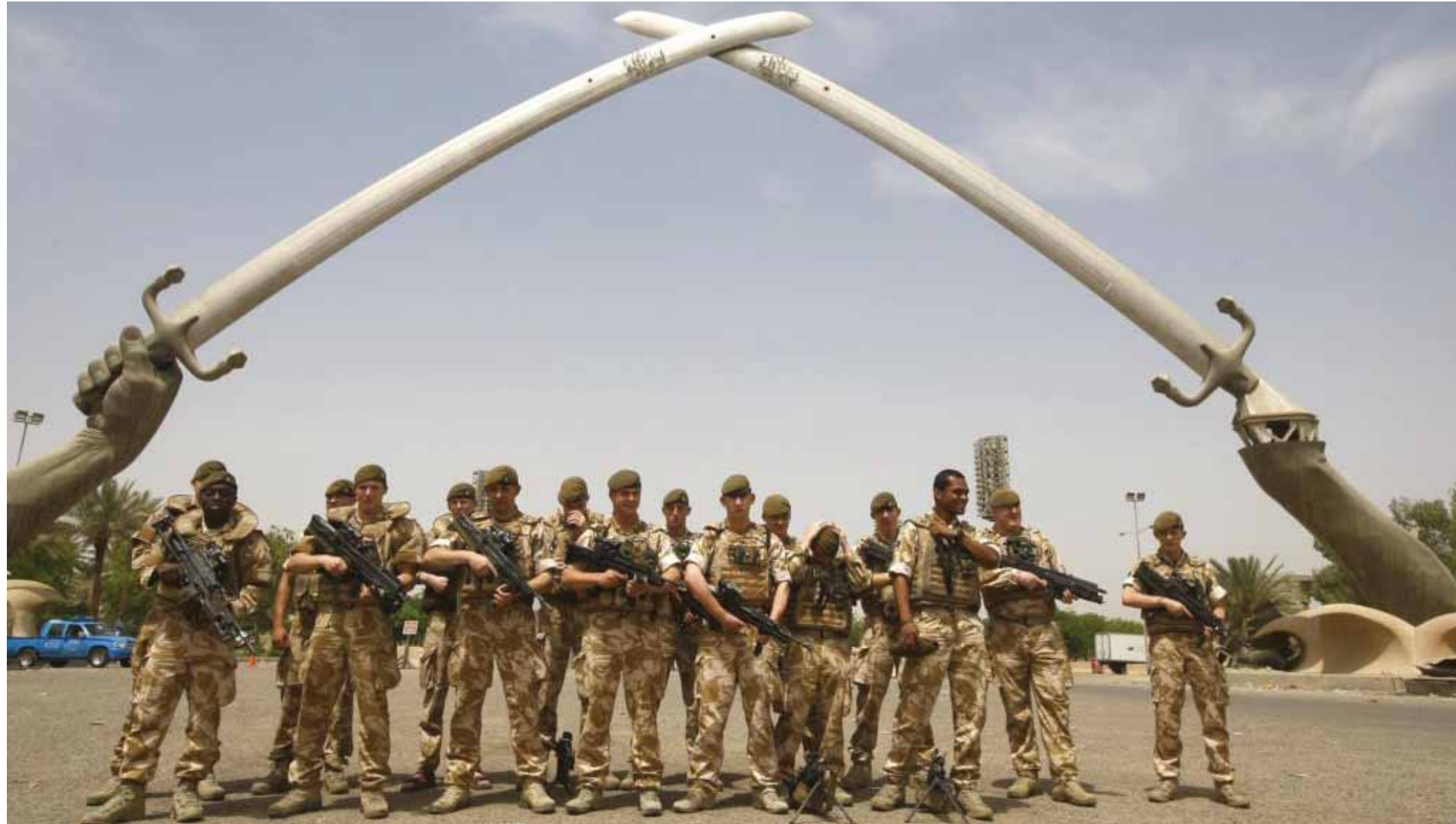
يعود هذا التأخر على الأرجح إلى تغييرات بنيوية حلت بهيكل النشر ذاته المعنى في أغلب الأحيان بالسير الذاتية والبيانات، كما أن تشبّع الجمهور بالتغطية الإلكترونية للحربين وجعلهما فوريين للمتلقيين - حيث الكل منتهيا ولا أحد منته - أسهم أيضاً في عزوف الأدياء عن طريقها. خاض كذلك معظم كتاب الحربين العالميتين القتال بانسهم إبان كان التجنيد إلزامياً. أما وقد باتت الجيوش الغربية تنكث الآن على المحترفين، لم تعد تجذب بأي شكل من الأشكال نموذج الأديب أو الشاعر. ثمة إذن وعي قائم من جانب المبدع بانتقاء تجارب أخيرها بالفعل، وفي حالة حرب العراق لا يستدعي الذخر روائياً واحداً انهمك في عمارها بشكل مباشر.

مع ذلك لم تفكر الساحة الأدبية تمام الانفتاح إلى نظرات مقتضية إلى عاصفة الصحراء وحرب العراق. وما تجاهله فن الرواية ألفي متسعاً في صورة قصص منفردة تسعى للقبض على النزاع في هذه البقعة من العالم، بعضها مُقَرط في واقعيته قصة الأميركي بينجمن بيرسي (1979) 'تحديث'. الثانية بجائزة بوليتسر عام 1945 مدم أربع سنوات ليس إلا من دخول أميركا الحرب، ويملأ 11 سبتمبر 2006 كانت الروايات التي تتناول الهجوم تشكّل نوعاً أدبيا يسع مجلدات.

ولا بد أن جائزة اسرع رواية عن الحرب سوف تذهب إلى رواية جراهام جرين 'الأميريكي الهادي' (1995) المناهضة لحرب فيتنام، إذ خطها قبل سنوات من إدراك أغلب الأعمال لم تغط في أغلبها إلا حدثاً واحداً، أو فئات متتالية من حرب قائمة: بيرل هاربور مثلاً بدلاً من الحرب برمتها.

ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى أن غيرهم من الكتاب تسهلوا سنوات قبل أن تجرؤ أقلامهم على تدوير الحرب. كتب الروائي البريطاني أوليس هاكسلي بوما، لكي ينجي، لا تحقّق إليه، وبغلي، لا تسلط

عشرة تدعى أنها رات جنوداً عراقيين يرمون مئات الرضع على أرضية باردة كما الحجر حتى يسرفوا الحضانات. تنوخي جندي عادي من جنود الملكة لهجة غاية في الحدة لتسحب معاملة بريطانيا لجنودها العائدين من الكارثة العراقية بعد أن مزقت الخدمة عقولهم تمزيقاً لما تلقوه من صدمات أو ما تعرضوا له من يورانيوم مستنزف انبعث من أسلحة الغربيين، مما دفع جويس إلى التصريح ذات يوم، إن مقدار الشر اللامبالي الذي تجندوا فيه لا يمكن إلا أن يجسد الشيطان. وبمأى عن خط النار يتجلّى مسطّ الراس كثافة تطل منها الإطماع

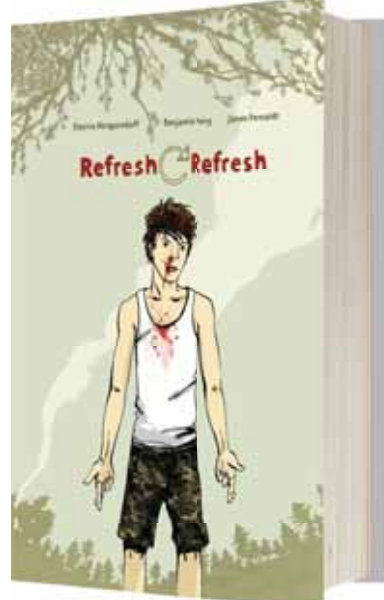
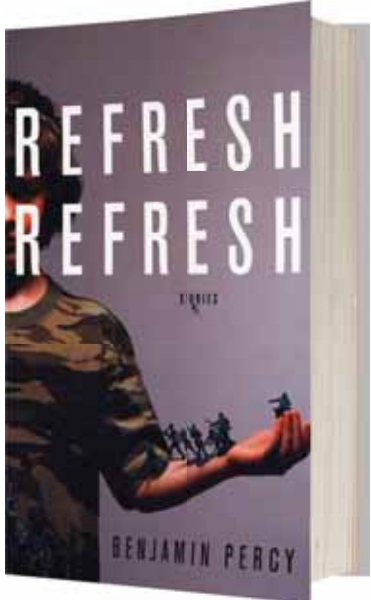


جنود بريطانيون في بغداد 2003

الأميريكية في التوسع والاستحواذ، ويسعنا أن نسدد عيناً كاشفة إلى تجارة الحرب، كما يسيرها الجندي، وإنما كما يلقبها إبناء. لا تسيع قصة بيرسي 'تحديث'. تحديث' الفائزة بجائزتي بليمثن وبوشكارت والصادرة في كتاب المختارات القصصية أفضل القصص الأميركية 2006 'أي رحمة على صبيين ببلدة تعاني الفقر والياس وتضم المقر الرئيسي للكتيبة الثانية، الفوج رقم 34 من مشاة البحرية.

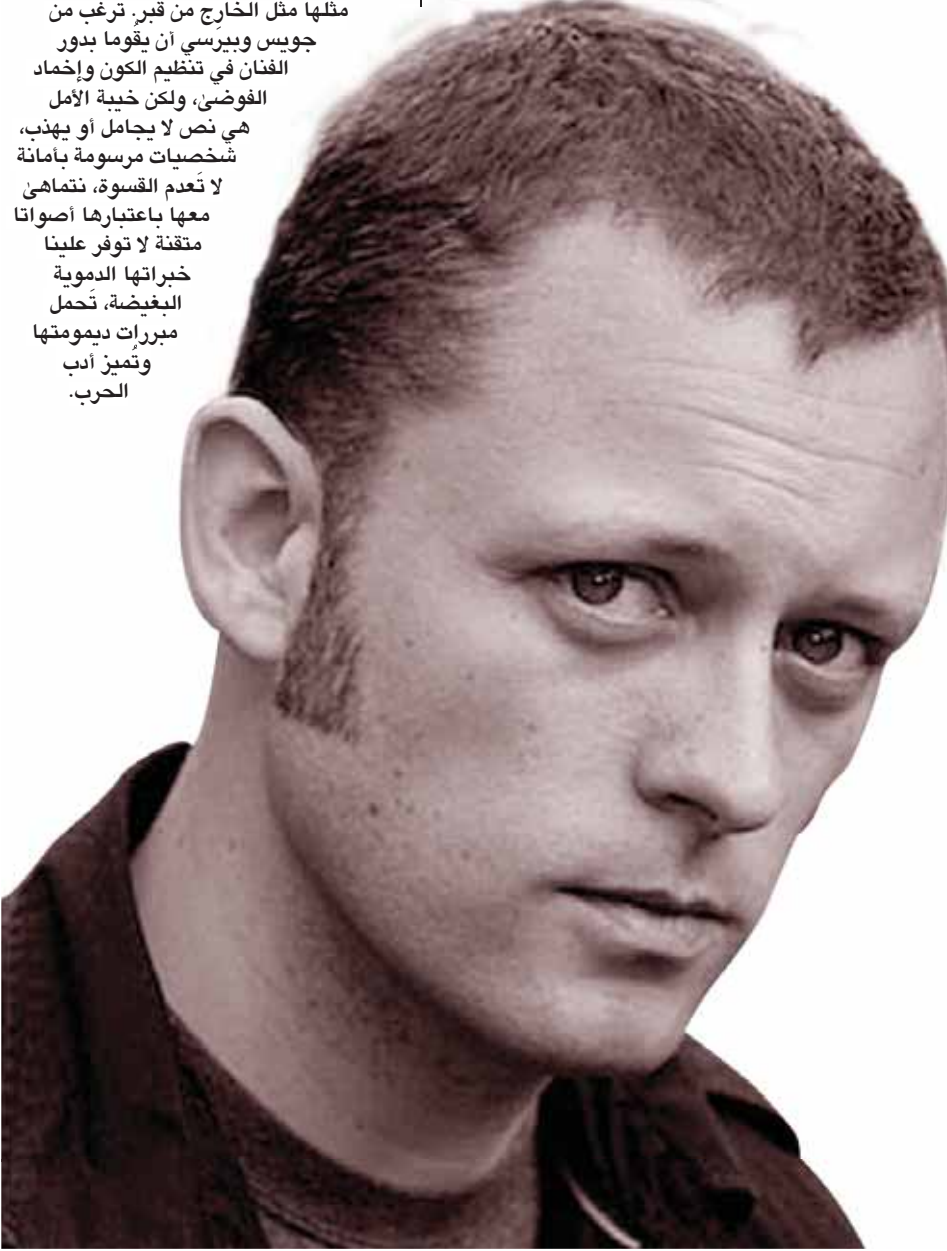
الكارثة العراقية

تفقد البلدة شبه الشاعرة انزائها الاجتماعي بعد أن انضم رجالها إلى الحرب ليتبقي العجائز والأطفال، وصبيانٌ بجاهران، لم تستوعب تمام الاستيعاب السبب في ذهاب بائناً إلى الحرب. ما استوعبتا إلا أنهم لا بد أن يحاربوا. وقد جعلت الحاجة الملحة للحرب أي سبب بلا أهمية. سرّ جندي إلى، إنها جزء من اللعبة. هذا هو الوضع ببساطة. ما وسعنا إلا أن نرجو حسن الطالع وتمنّي الأمانى بالاطلاس وتضغط على زر تحديث، تحديث أملن أن يعيدوا إلينا، داعين إلا نجد ديف لايتنر في شرفتنا وهو يلفظ الكلمات يؤسفني أن أبلغك أن ... يتكبد الصبيان، بما سادها من عنف ومرارة، تكلفة الحرب في جبهة الوطن. بغارة الكمبيوتر يضغطان المرة بعد المرة تحديث، تحديث ترقيبا لرسائل أبيهما متلفحين إلى معرفة إن كانا على قيد الحياة. تتكئهما القصتان نهاية سوداء تعكس مصيراً لا سبيل إلى تلافية، مثلها مثل



بينجامين بيرسي

الحرب. يتيه جندي الملكة في غياهب الهلوسة والخُلّ ناظرًا بعين الريبة إلى كل فرد. ما عاد جندياً صلباً، بل واحداً من المجانين؛ وعلى العكس من راوي قصة همنجواي في بلد آخر القائل في الخريف قامت الحرب هناك على الدوام، ولكننا لم نعد نُقل إليها بغير الصبيانَ إن نحواو حنو أبيهما، سوف يضمنان إلى القتال ليصنعا



ليانة بدر

لا أستطيع أن أكون غادة الكاميليا

اختبار عناوينها، وأعجب بعض رسوماتي. قال لي إنني أتمتع بسلاسة للانتقال بينها طيلة اليوم، لكنه خذني من ضياع الوقت في التنقل هنا وهناك دون أن أكمل إنجاز مشروعَي الروائي لكتابة تاريخ فلسطين عبر عيون النساء.

وما اعترف به هو أن الوضع المنفجر في الثورات العربية ساهم في انصرافي عن تكريس الوقت اللازم للكتابة، وبدعني للاتحاق بعالم الشبكة العنكبوتية كي الإحق ما يجري لحظة بلحظة مثل كتيرين غيري. منذ نهاية 2010 وجميعنا مقيد إلى التلفزيونات وإلى المواقع الإلكترونية لملاحقة ما يجري في مصر وتونس وليبيا والعراق واليمن. وكلما زادت المأساة التي تجري في سورية استفحالا، صار الوضع سورياً، وأمدت أيدي النظام إلى المزيد من العفر العفر

أحياناً أشك في أنني أنا، وأنتي نفسي. لقد كتبت أكتب يوماً في إيام الحرب في بيروت تحت وقع القصف، وفعلت هذا بشكل شبه يومي يوماً في المنافي وفي الوطن عدا السنة الأولى للإنتاج رام الله 2002، فكيف اتحول إلى عبودية الأخبار؛ وكيف لي أن أعود إلى النظام نشاطي الإبداعي؟ هذا هو اعترافي.

«ليانة بدر كاتبة وسيتمائية من فلسطين عاشت في دمشق وبيروت وتونس، واليوم تعيش في رام الله.

هذا هو كل الموضوع. قمت بعمل سبعة أفلام وثائقية كتابة وإخراجاً، وحاز العديد منها على تقديرات وجوائز في مهرجانات دولية لأنها كتبت عن وجوه لا يعرفها الآخرون عدا. وكتبت سيناريوهات العديد من الأفلام الروائية والوثائقية أيضاً، ومنها فيلم 'زواج رنا' الذي أخرجه هاني أبو أسعد 2002، وكان أول فيلم عربي يفتتح أسبوع نقرة ما في مهرجان كان.

أما تعدية حقول الإبداع، فهذا لأنني أتيت من عائلة ناشطة سياسياً، احترفت النضال البومي وعانت الملاحقة والتشريد والسجون. لكنها علمتنا كيف نعيش الحياة بكل ما في جمال وعنّي. أبي الطيب عبد الرزيم بدر وامي المثقفة مديرة المدرسة جعلنا من الفن والأدب عالماً ملوئاً بعيش عبره حياتنا المتقشفة بعد أن عايننا الأيرين ومنه الفقر والجوع أحياناً في فترات الاعتقال السياسي الطويل لأبي.

أما كانت تطلرن وتغني وتصنع حلويات وترسم، وقرأ روايات وتقوم بوظيفة مديعة البرنامج العلمي الذي كان أبي يسجله أسبوعياً في الأداة. وأبي الطيب كان يرسم لوحات زيتية ويكتب الشعر ويقوم بتشاطعات فنية متعددة. وهو من ألف الكتاب الأول في العالم العربي الذي شرح النظرية النسبية لأيششتاين الكون الأحدث، كما كتب وترجم أكثر من عشرين كتاباً في علم الفلك حاز بعضها على تقدير واسع.

كيف أكتفي بأن أكون واحدة؟ قد تكون هذه تهمني أنا التي لا أتماهى مع الصورة التقليدية لبعض الكتّاب و صورة الأقسوة، تمنأهي الكاتبات اللواتي يبينن مجدهن على رسم صورة للأقسوة غالباً ما تكون مزيفة

بريشة جمال الجزّاح

جراهام جويس